التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم

(الأفعال الماضية أنموذجاً)

إعداد الباحث :

د. إبراهيم ناصر صالح القيسي

ملخص البحث:

اهتم الباحثون قديمًا وحديثًا بالقرآن الكريم وعلومه، لما له من دور في تعدد معانيه، وبلاغة أسلوبه، فكلما زاد الباحث فيه وتعمق؛ وجد نفسه أشد جهلاً به، ولا غرابة في ذلك! فهو المعجزة الخالدة التي أبهر بها الخالق سبحانه الجن والإنس، فتحدى المرجفون بأن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، ولو اجتمع عليه الجن والإنس وكان بعضهم لبعض ظهيرا. ولم يقتصر الأمر عند ذلك، بل يحتاج إلى مراجعة واستذكار دائم، فهو كما قال: صلى الله عليه وسلم، أشد تفلتاً من الإبل في عقلها. ومن أشد ما يتفلت منه، ما تشابه من ألفاظه، وتماثل من مقاطعه.

ولذا فهذا البحث ليس الأول ولا الأخير، بل محاولة من الباحث لتتبع التناوب اللفظي للفعل الماضي من خلال الآيات المتماثلة في القرآن الكريم، حيث يقوم لفظ مكان لفظ آخر في سياقين متماثلين، ولهذا رأى الباحث أن يقف على البعد الدلالي الناشئ عن اختلاف الألفاظ، ومعرفة المناسبة لكل لفظ ما أمكن، لأن الإحاطة بحقائق تلك الألفاظ من علم الله، وما لدينا إلا محاولة يسيرة في بيان شيء من دلائلها، علَّ الله أن يوفقنا فيها. فبدأ البحث بمقدمة اشتملت على عرض ملخص لعمق بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي، مشيراً لعرض سريع لعلماء العربية بدأ بالكلم وأقسامه، ومعنى التناوب والتماثل، ثم الوقوف على تعريف الفعل الماضي محور بحثنا.

بعدها تم الحديث عن التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم (الأفعال الماضية أنموذجاً)، من خلال منهج وصفي قائم على المقارنة والتحليل، وذلك في أربعة مباحث: الأول منها: تناول فيه الباحث التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المجرد، مبيناً فيه مجموعة من الأفعال الماضية المجردة الواردة بصيغ مختلفة. أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الثلاثي المجرد والمزيد وفيه عدة ألفاظ متناوبة. وفي المبحث الثالث: تناول الباحث فيه التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المزيد. وفي المبحث الرابع تناول الباحث فيه التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الفعل الثلاثي المزيد، والرباعي المضعف. وقد خُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي رفع شأن العلم وأهله، فبين في كتابه كل شيء. أحكم آياته، وفصل متشابهة بأساليب متنوعة، وطرق متعددة، وألفاظ متقاربة، فحوت أحسن القصص والعبر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23] والصلاة والسلام على إمام البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن معجزة خالدة حتى قيام الساعة، لما فيه من معان لغوية وبلاغية وغيرها، وما تطرق إليه الباحثون قديماً وحديثاً إلا على استحياء لعجزهم عن الإحاطة به، فكلما تعمقوا فيه وجدوا أنفسهم أكثر جهلا.

وبلاغة القرآن الكريم هي أول ما عرفه العرب من وجوه إعجازه المختلفة، لأنهم أهل البلاغة والفصاحة والحكمة، ما جعلهم يحتارون ببلاغته وفصاحته ودقة معانيه، خاصة وهو ليس بالشعر الذي عرفوه، وليس بسجع الكهان الذي عهدوه، فتساءلوا كثيرًا عن مصدر قوته وتأثيره على قلوبهم وعقولهم، وما قصة الوليد بن المغيرة إلا دليل على ذلك.

فبدأوا بوضع أسس عامة يعرفون من خلالها لغتهم التي أبهرهم القرآن بها، فهذا سيبويه يبدأ كتابه بابِ علم ما الكَلِمُ من العربية؟ حيث قال: "فالكَلِم اسمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جاء لمعنًى ليس باسم ولا فعل فالاسمُ رجلٌ وفرسٌ وحائط. وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون، ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعَ ومُكِثَ وحُمِدَ. وأما بناء ما لم ينقطع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله والأحداث نحو الضَّرْبِ والحمد والقتل وأما ما جاء لمعنًى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو ثُمَّ وسَوْف و واو القسم ولام الإضافة ونحوها".(1)

وأكد المبرد وابن السراج وغيرهم ذلك بقولهم: "فالكلام كُلّه اسم وفعل وحرف جاءَ لمعنى لا يخلو الكلام عربيّاً كان أَو أَعجميّاً من هذه الثلاثة".(2)

واختصر ابن مالك الكلم في ألفيته بقوله:

كَلامُنَا لَفظٌ مُفيدٌ كاستَقِمْ اسمٌ وفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفُ الكَلِمِ.(3)

وعلى الرغم من إجماع النحاة على هذا التقسيم قديماً وحديثاً إلا أن هناك من يرى عدم كفايته فأضافوا قسماً رابعاً ذكره السيوطي عند عرضه لأقسام الكلمة بقوله: "الكلمةُ إما اسم وإما فعل وإما حرف ولا رابع لها إلا ما سيأتي في مبحث اسم الفعل من أن بعضهم جعله رابعاً وسماه الخالفة".(4)

ومن المحدثين من نادى بتقسيم آخر غير ما ذهب إليه القدماء، معللاً ذلك أنهم قسموا الكَلِمَ على اعتبارين إما المعنى وإما المبني، وهذا غير صحيح مؤكداً على اعتبار المعنى والمبنى في آنٍ واحد فيقول: "من هنا يتضح أن الأقسام السبعة التي ارتضيناها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يلي: الاسم – الصفة – الفعل – الضمير – الخالفة – الظرف – الأداة".(5)

والبحث في هذا الجانب طويل جدا سيفتح الباب لبذل جهود كبيرة ليست باليسيرة في المجال اللغوي، لذا سنقتصر في هذا المقام على مجال واحد -بعيدا عن تقسيم القدماء، أو وجهة نظر بعض المحدثين- هو الفعل. وتحديدًا الماضي منه.

فقد ورد الفعل في القرآن الكريم بصور شتى، قد لا تخلو آية إلا به، ومنه الفعل الماضي، وحديثنا عنه سيكون في الأفعال المتماثلة في القرآن الكريم، لأن تغير الألفاظ وتناوبها في القرآن الكريم لابد أن له أثر دلالي في المعنى، وبعد بلاغي لا يتضح إلا بفهم اللغة ككل من خلال النص القرآني فينظر إلى التقديم والتأخير وسياق الكلام والمناسبة وغيرها، كل ذلك له دلالات مختلفة.

فالفعل من أهم موارد العربية ومكوناتها، حيث يمثل جزءًا كبيرًا من مفرداتها، وله دلالة وخاصية لا تمثل في غيره، كدلالته على الحدث والزمن، كما أن له دورًا في عملية الإسناد وإثراء العربية وربط تراكيبها.

وتتضح دلالته أكثر عند تتبع الآي الحكيم في القرآن الكريم، وذلك عندما نجد تنوع أساليبه وألفاظه، نُيقن أنها لم تأت عبثاً، بل جاءت وفق معنى وهدف معين قد لا يستقيم الحديث بغيرها، أو أن الدلالة ستظل قاصرة لو حل محله لفظ آخر، ولذا فالتناوب اللفظي بكل تأكيد يرمي إلى استحضار أسرار النظم الكامنة في الفروق التعبيرية عندما ينوب لفظ مكان آخر، ولذلك نجد أقوال بعض العلماء تؤكد على تناسب اللفظ للمقام، كقول الإسكافي: "فاقترن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود".(6) وقول الكرماني: "فجاء في كل موضع بما يلائمه".(7)

وقد تطرق السيوطي إلى هذه العلاقة مؤكداً دور المناسبة في تناوب الألفاظ، بقوله: "وهو يتداخل مع نوع المناسبات"(8)

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ: "التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الآيات المتماثلة في القرآن الكريم (الأفعال الماضية أنموذجاً)". إذ تم الجمع والبحث والدراسة في خصائص ودلالات تلك الأفعال، ونظرًا لكثرتها فقد اقتصر البحث على الأفعال الماضية المتماثلة في القرآن الكريم، باحثًا عن دلالتها اللغوية وعلاقتها من خلال سياقها في النص القرآني، ومناسبتها للمقام الذي وردت فيه.

من ذلك على سبيل المثال تناوب اللفظين: (خَتَمَ وطَبَعَ) وكلاهما فعلين ماضيين وردا في نصين متماثلين، ففي البقرة جاء (بخَتَمَ) في قوله تعال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾.[البقرة:7] في حين جاء الفعل في النحل (بطَبَعَ) حيث قال: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾.[النحل:108]، فجاء البحث للتتبع هذا التناوب بين الألفاظ ومحاولة الوصول إلى البعد الدلالي للعدول القرآني من لفظ إلى لفظ آخر.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل التطرق للتناوب بين الأفعال من حيث التجرد والزيادة، والتعدي واللزوم، حيث يأتي السياق القرآني بفعل محدد ثم يتغير في مقام آخر مماثل نصًا للمقام الآخر مع واحديتها في الجذر اللغوي، كالتناوب بين: (تَبِعَ واتَّبَعَ) حيث جاء في البقرة بقوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.[البقرة:38] في حين جاء في طه بقوله: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.[طه: 123]

وقبل الحديث عن دلالات الفعل الماضي في القرآن الكريم لابد من الإشارة إلى تعريف الفعل لغة واصطلاحاً ومعرفة آراء العلماء في حده وما قيل فيه.

فالفعل لغة كما يقول ابن فارس: "الفاء والعين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إحداث شيء من عملٍ وغيره. من ذلك: فَعَلْتُ كذا أفعلُه فَعْلا. وكانت مِن فُلانٍ فَعْلةٌ حَسَنَةٌ أو قبيحة. والفِعَال جمع فِعْل. والفَعَال، بفتح الفاء: الكَرم وما يُفْعَل من حَسَن".(9) وقال ابن سيده: "الفِعل كناية عن كل عمل متعدٍّ أَو غير متعدٍّ فَعَل يَفْعَل فَعْلاً وفِعْلاً فالاسم مكسور والمصدر مفتوح وفَعَله وبه والاسم الفِعْل والجمع الفِعال مثل قِدْح وقِداح وبِئر وبِئار وقيل فَعَله يَفْعَله فِعْلاً مصدر ولا نظير له إلا سَحَره يَسْحَره سِحْراً وقد جاء خَدَع يَخْدَع خَدْعاً وخِدْعاً وصَرَع صَرْعاً وصِرْعاً والفَعْل بالفتح مصدر فَعَل يَفْعَل".(10) وغير ذلك من المعاني التي ذكرها أصحاب المعاجم.

أما في الاصطلاح: فقد تعددت آراء العلماء في تعريفهم للفعل، فهذا سيبويه يعرفه كما سبق في تعريف الكلم بقوله: "وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنيتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِع ومُكِث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم ينقطع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله".(11) فكان قد ذكر حده من حيث البناء والزمن.

وأما ابن يعيش فيقول في شرحه للمفصل: "الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان، ومن خصائصه صحة دخول قد وحرفي الاستقبال والجوازم، ولحوق المتصل البارز من الضمائر، وتاء التأنيث".(12) في حين يعرفه ابن الحاجب في الكافية بقوله: "هو ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة".(13)

وكل ما سبق من أقوال في حد الفعل وأقسامه كلام ربما اتفق عليه القدماء والمحدثون وإن اختلفت الرؤى في الطرح والصياغة إلا أن الحدث والزمن حاضران في كل الأحوال، وفي هذا البحث نحاول الوقوف على دلالة الفعل، وهذا المصطلح من حيث الدلالة يندرج تحت مباحث علم الدلالة الذي يعد حديث النشأة إذا ما قورن بمباحث علم اللغة المتعلق بالمستويات الصوتية والصرفية والنحوية. ولا يعني ذلك إغفاله أو عدم وجوده عند القدماء، بل وجد في كتب اللسانيين والأصوليين والمفسرين وغيرهم إلا أنه لم يظهر كعلم مستقل.

وللأفعال وظيفتان أساسيتان: الأولى وظيفة دلالية زمنية، كبيان زمن الفعل (الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل). والأخرى وظيفة دلالية معنوية، تتعلق بالمعنى الذي يتضمنه الفعل وهو ما سنقف عنده.

والجملة الفعلية قسمٌ من أقسامِ الجملِ في اللغةِ العربية، وتتكونُ من فعلٍ وفاعلٍ بشكلٍ رئيسي، وربما يتعدى الفعلُ إلى مفعولٍ به أو أكثر حتى يكتمل معنى الجملة، والأفعالُ ثلاثة: ماض ومضارع وأمر.

ويمكن استخلاص تعريف الفعل الماضي على أنّه الفعلُ الذي يدلُّ على الحدث الحاصل في وقتٍ قد مضى، أي حدث وانتهى قبل لحظة الكلام، ويأتي مبنياً؛ فلا تتغير حركته بتغير موقعه في الجملة.(14)

وأما التناوبُ فقد وردَ بمعاني كثيرة، إلا أننا سنقتصر حول ما يقصده البحث، وهو التناوب أو التعاقب، فيقال: "نابَ الشيءُ عن الشيءِ يَنُوبُ، قامَ مَقَامَهُ وأَنَبْتُهُ أَنا عَنهُ، ونَاوَبَهُ عَاقَبَهُ".(15)

وأما التماثل فهو تَفَاعُل من تَفَاعَل، ومن معانيه التشابه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. [الشورى: 11]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم.(16)

المبحث الأول: التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المجرد.

أولاً: التناوب فيما جاء على (فَعِلَ و فَعَلَ):

ومن أمثلته: (عَمِلَ) و(كَسَبَ). حيث ورد التناوب بين الفعلين في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.[آية 34] وكذلك في [الجاثية 33]، جاء بالآية نفسها.

بينما جاء في الزمر بقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.[آية 51] فتناوب اللفظان عملوا وكسبوا في الآيتين السابقتين وهذا التناوب له دلالة في المقام الذي وردا فيه، فالعمل في الآيتين أعم من الكسب ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.[الزلزلة: 7]، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.[الزلزلة: 8]

وهذا ابن فارس يقول: "العين والميم واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ وهو عامٌ في كلِ فَعَلَ يَفْعل".(17) وأما ابن منظور فيقول: "العملُ: المهنةُ والفعلُ، والجمعُ أعمالٌ، عَمِلَ عَمَلاً، و أعمَلهُ غيره و استعمله".(18)

ويقول أبو هلال العسكري: "أن العملَ إيجادُ الأثرِ في الشيءِ، يُقالُ: فلانٌ يعملُ الطينَ خزفًا ويعملُ الخوصَ زنبيلاً والأديمَ سقاءً، ولا يُقالُ: يفعلُ ذلكَ لأنَّ فعل ذلك الشيء هو إيجادُه".(19)

وقد ناقش هذا المفهوم أحد الباحثين نقاشاً مستفيضاً متحدثًا من خلاله عن الفرق الدلالي بينه وبين الفعل، وخلص إلى أن العمل ما يحدث من الإنسان دون الحيوان والجماد، وأنه الأثر المترتب عن فعل، وممتد الزمن إذ لا ينقضي سريعًا.(20)

وأما الكسب فله معان مختلفة، فقيل: "هو مصدرٌ مطلقٌ على المفعولِ".(21) وقيل: ما يناله المرءُ بعملهِ، ومنه يُقالُ للأرباح: إنها كسبُ فلان. وسمي الدعاءُ كسباً لأنه من الأعمالِ، والأعمال موصوفة بالكسب.(22) وقيل: "الكسبُ: فعلُ ما يجرُ نفعًا أو يدفعُ ضرًا".(23) وقيل: "هو الفعلُ المُفضي إلى اجتلابِ نفعٍ، أو دفع ضرر".(24)

أما لفظ العمل في الآية السابقة فقد خصت هذه السورة اللفظ لموافقة ما قبله كقوله: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.[النحل: 28] وقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[النحل: 32] ولموافقة اللفظ ما بعده في قوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[النحل: 93] وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.[النحل: 97] وقوله: ﴿وَتُوُفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.[النحل: 111] وقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءِ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ﴾.[النحل: 119].(25) فجاء بدلالة العمل دون غيرها لمناسبة المقام وتكرار الفعل، فكان الأنسب للخطاب به بدلاً من الكسبِ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (عمل).

وفي الزمر جاء الفعل (كَسَبَ) في هذه السورة لمناسبة السياق ووقوعه بعد ألفاظ الكسب قبله كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.[الزمر: 24] وقوله: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[الزمر: 48] وقوله تعالى: ﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.[الزمر: 50] فخصت كل سورة بما اقتضاه.(26) فكان الأنسب للسياق لفظ الكسب لا لفظ العمل وهذا من أساليب النظم في القرآن الكريم. فالتناسب اللفظي استدعى التعبير في كل آية بفعل مغاير للآية الآخرى.

ثانياً: التناوب فيما جاء على بناءٍ واحد (فَعَلَ).

وقد ورد التناوب في هذه الصيغة بألفاظ مختلفة، حملت دلالات عدة، فمنها ما جاء بين فعلين صحيحين كتناوب: (سَلَكَ – جَعَلَ) و(خَتَمَ – طَبَعَ) و(فَسَقَ – كَفَرَ). ومنها ما جاء بين فعلين معتلين، كتناوب: (أَتَى – جَاءَ). ونتناول ذلك كما يلي:

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (سَلَكَ و جَعَلَ).

ورد التناوب اللفظي بين (سَلَكَ) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾. [طه:53] وبين (جَعَلَ) في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾.[الزخرف:10] وهو كغيره من الآيات المتماثلة، لا شك أن له أثرًا دلالياً في المقام الذي ورد فيه.

فالسُّلُوكُ كما يقول الأزهري: مَصدرُ سَلَكَ طَرِيقاً. والمَسْلَكُ: الطَرِيْقُ. والسَّلْكُ: إدْخَالُ شَيْءٍ في شَيْءٍ.(27)

ويقول ابن فارس: "السينُ واللامُ والكافُ أصلٌ يدلُ على نفوذِ شيءٍ في شيءٍ، يقالُ سَلكتُ الطريقَ أسلُكُه، وسَلَكتُ الشيءَ في الشيءِ أنفذته".(28)

وأما جعل فقال الخليل عنها: "جَعَلَ جَعْلاً صَنَعَ صَنعاً، وجَعَلَ أعمُ لأنك تقولُ: جَعَلَ يأكلُ. وجَعَلَ يصنعُ كذا، ولا تقولُ: صنعَ يأكلَ، وجعل ما جعلت لإنسان أجراً له على عمل يعمله والجعالة أيضاً".(29) وقال ابن فارس: "الجيمُ والعينُ واللامُ: كلماتٌ غيرُ مُنقاسةٍ لا يشبه بعضها بعضا".(30)

وسَلَكَ كما يرى أبو جعفر النحاس: "مجازاً أي جَعَلَ لكم فيها السبل".(31) ويرى الواحدي في تفسيره أنها بمعنى: وسَهَلَ لكم فيها طرقاً.(32) وأضاف السمعاني أنها بمعنى: سَهَلَ ووَطَأ لكم فيها طرقاً.(33)

وأما (سَلَكَ) الواردة في الآية فذُكر في مفردات غريب القرآن بأنها: النفاذُ في الطريقِ، يقال سَلكتُ الطريقَ وسَلكتُ كذا في طريقه، قال تعالى: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾.[نوح: 20] وقال: ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ [النحل: 69] وقال تعالى: ﴿ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.[الجن: 27] وقال تعالى: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾.[طه: 53] وغيرها من الآيات.(34)

فجاء بـ: (سَلَكَ) في هذه الآية من سورة (طه) لأن لفظَ السلوكِ مع السبيل أكثرَ استعمالاً فخصه بذلك، وخص الآية من سورة (الزخرف) بـ: (جَعَلَ) ازدواجًا للكلامِ وموافقة لما قبلها وما بعدها.(35)

وقيل: السَلّك في الآية: "هو سَلَكَ المتعدي، أي أسلَكَ فيها سُبلا، أي جَعَلَ سُبُلاً سَالِكَةً في الأرضِ، أي دَاخِلةً فيها، أي مُتخَلِلة. وذلك كنايةً عن كثرتِها في جهاتِ الأرضِ".(36) فهو: فِعلٌ مشتقٌ من السُلُوكِ والسلك الذي هو الدخول مجتازًا وقاطعًا. يقال: سَلَكَ طريقًا، أي دخله مجتازًا. ويستعملُ مجازًا في السيرِ في الطريقِ تشبيهًا للسائرِ بالشيءِ الداخلِ في شيءٍ آخر. يقالُ: سَلَكَ طَرِيقَاً. فحق هذا الفعل أن يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ وهو المدخول فيه، ويستعملُ متعديًا بمعنى أسلَكَ. وحقه أن يكون تعديه بهمزةِ التعديةِ فيقالُ: أسلَكَ المِسمارَ في اللوحِ، أي جَعلَه سَالِكاً.(37)

وأما الفعلُ (جَعَلَ) فقد ذكره المفسرون أيضاً، وهو كثير المعاني كما سبق ذكره عند ابن فارس، ولذا سنقتصر على دلالته في الآية الكريمة فقط. يقول الرازي أن المقصود به انتفاع الناس عندما هيأ الله تلك السبل ووضع عليها علامات مخصوصة وإلا لما حصل هذا الانتفاع.(38) و(جَعَلَ) كما يقول الزبيدي: "بمعْنَى تَصْييرِ الشيء علَى حالةٍ دُونَ حالةٍ".(39)

وربما هذه الخلاصة فالآيات الواردة في مختلف السور تدل على تغير حاصل وانتقال من حالة إلى آخرى. من ذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً﴾.[المائدة: 20] وهذا التغير بعد أن كانوا مستضعفين في القوم فتغير الحال إلى حالٍ آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾.[يوسف: 70] حولها من يد القائم على مخازن الحبوب، إلى حال آخر في رحل أخيه. وقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.[النحل: 72] وهذا انتقال أيضاً من حال عدم الزواج، إلى حال آخر وهو رزق الزواج ثم تتوالى أحوال التغيير بالأولاد والأحفاد. وغيرها من الآيات التي تدل على التغيير.

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (خَتَمَ و طَبَعَ).

جاء التناوب اللفظي بين فعلين ثلاثيين ماضيين وصحيحين في آيتين متماثلتين، الأول: (خَتَمَ) حيث قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:7]. والثاني: (طَبَع) حيث قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[النحل:108]

والختم كما يقول الخليل الطبع، ومنه خَتَمَ يَختِمُ خَتمَاً أي طَبَعَ فهو خَاتِم.(40) وقال ابن فارس: "الخاءُ والتاءُ والميمُ: أصلٌ واحدٌ وهو بُلوغُ آخر الشيءِ، يُقالُ: خَتمتُ العملَ، وخَتمَ القارئُ السورةَ. فأمّا الخَتمُ وهو الطبعُ على الشيءِ فذلك من البابِ أيضاً لأنَّ الطبعَ على الشيءِ لا يكونُ إلا بعدَ بلوغِ آخره".(41)

وقال في مقام آخر من مادة طبع: " الطاءُ والباءُ والعينُ أصلٌ صحيحٌ وهو مَثلٌ على نهايةٍ يُنتَهى إليها الشيء حتى يُختم عندها. يُقالُ: طَبعتُ على الشيءِ طابعاً".(42) فعرف كل لفظ بالآخر.

وذكر أبو حيان أنَّ حقيقةَ الختمِ وضعٌ محسوس على محسوس يحدث بينهما ويكون علامة للخاتم، والختمُ في الآية معنوي، فإنَّ القلبَ لما لم يقبل الحقَ مع ظهورِه، استعيرَ له اسمُ المختوم عليه فبين أنه من مجاز الاستعارة.(43)

فنجد أن المعنى اللغوي لمفهومي الختم والطبع في الآيتين واحد وهو العلامة نهاية الشيء، إلا أن الاستعمال القرآني لم يتنوع في الاستخدام عبثاً، بل لا بد أن هناك فروق دلالية جعلت التناسب في كل مكان أبلغ منه في الآخر، ولذلك ذهب اللغويون والمفسرون إلى إيجاد بعض الفروق بين (الختم والطبع) فهذا أبو هلال العسكري يرى أن الطبعَ أثرٌ يثبُت في المطبوعِ ويلزمُه، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعاً.(44)

ويرى أبو حفص والطاهر بن عاشور أن الختم أقل إحكاما من الطبع فلعل منهم من يفكّر فيعود لربه؛ فالباب مفتوح. أما الطبع فأكثر إحكاما للغلق من الختم بحيث لا ينفذ إليه مستخرِج ما فيه إلاّ بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به. والطبع يُعدّ مرحلة أعلى؛ لأن به إحكام الغلق إحكامًا تامًا، ولذا فهو أعلى مرحلة.(45)

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (فَسَقَ و كَفَرَ).

جاء التناوب اللفظي بين الفعلين الثلاثيين الماضيين في آيتين متماثلتين، الأول: (فَسَقُوا) حيث قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.[يونس: 33] والثاني: (كَفَرُوا) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.[غافر: 6]

فالفِسقُ كما ذهب أهل اللغة: العصيانُ والتَّرْك لأمر الله، والخروجُ عن طريقِ الحق.(46)

وأما الكفرُ: فهو نقيضُ الإيمانِ، وهو الستْرُ والتغطيةُ، وهو العصيانُ والامتناعُ. ومنه: كُفرُ النعمةِ.(47)

وأما البعد الدلالي للاستعمال القرآني فيظهر من خلال تتبع الآيات أن هناك فرقاً بين اللفظين، وكأن العلاقة بينهما علاقة خصوص بعموم فالكفر أعم حيث يشمل الفسق أيضاً، فالفسق خروج من حال الطاعة إلى المعصية، وقد يمتد هذا الخروج إلى أن يصل بصاحبه إلى الكفر، فيقال للكافر فاسق ولا يقال للفاسق كافر ما لم يكن قد خرج عن حد الإيمان، يتضح ذلك من قوله تعالى عن إبليس: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.[الكهف: 50]، فهو لم يكن على معصية وبعد عن أوامر الله، إلا أنه رفض السجود لآدم فسمي فاسقاً لخروجه من حال الطاعة التي كان عليها إلى حال المعصية التي انتهت به إلى الكفر. وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[النور: 55] فسما الكفر فُسوقاً.

وفي مقام آخر قال تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.[البقرة: 197]، فذكر احتمال الفسوق في الحج وهو الوقوع في معصية وهذا دليل على أن الفاسق لم يصل إلى حد الكفر إذا أقلع عن ذنبه وتراجع، أما إن أصر على معصيته مستحل لها فحكمه الكفر كما هو حال إبليس في الآية السابقة وهو الخروج من الملة.

وقال في وصف المؤمن العاصي بأنه فاسقٌ ولم يقل كافر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[النور: 4] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[الحجرات: 11]

وتؤكد الآية التالية أنهما بدرجات متفاوتة كما ذكرنا، حيث قال تعالى:﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾. [الحجرات:7] فالكفرُ خروجٌ عن حدِ الإيمان، أما الفِسقُ فخروج عن الحدود التي حدها الله سبحانه. أما الفِسقُ الوارد في الآية السابقة من سورة يوسف فأشار المفسرون بأنه التمرد في الكفر والخرجُ إلى أقصى حدوده.(48)

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (أتَى و جَاءَ).

جاء التناوب اللفظي بين فعلين معتلين مهموزين في آيتين متماثلتين، الأول: (أَتَتْهُمْ) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[التوبة: 70] والثاني: (جَاءَتْهُمْ) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[الروم: 9]

وذهب أهل المعجمات إلى تفسير كل لفظ بالآخر فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء.(49) إلا أنَّ الراغب الأصفهاني حاول التفريق بين الإتيان والمجيء، فقال: الإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسيلِ المارّ على وجهه أتي، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة.(50)

كما أن المتأمل للفظ المجيء في القرآن يجده غالباً ما يأتي في مواضع الشدة والصعوبة أكثر مما هو عليه الإتيان، مثلاً قوله تعالى: ﴿فَإِذا جَاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنّورُ﴾.[المؤمنون: 27]، وقوله: ﴿وجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقّ﴾.[ق: 19]، وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إِمْرَا﴾.[الكهف: 71]، وقوله: ﴿لقَدْ جِئْتَ شِيْئا نُكْرا﴾.[الكهف: 74].وقوله: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾.[مريم: 27]، وقال: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّا﴾.[مريم: 89]، وقوله: ﴿فَإذا جاءَت الصّاخّة﴾.[عبس:33]، وقوله: ﴿فإذا جاءَت الطّامّةُ الكُبْرَى﴾.[النازعات: 34]، فهذا المجيء كله فيه صعوبة ومشقة وشدة، وغيرها من الآيات.

وأما لفظ الإتيان فغالباً ما يأتي في موضع تغلب فيه السهولة والتدريج، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[النحل: 26 -27]، فقوله تعالى في آية التوبة السابقة: ﴿وَأَتَاهُمُ العَذابُ﴾ أي عذاب في الدنيا بدليل قوله في تكملة الآية: ﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يُخزيهِم﴾. وقوله تعالى: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾.[إبراهيم 9] وغيرها من الآيات.

فالموقف بالمجيء أشق وأشد مما في الإتيان، فيناسبه الفعل (جَاءَ) دون (أَتَىَ)، بخلاف الفعل (أتى) الذي يستعمل في الغالب لما هو أخف وأيسر. ولعل من أسباب ذلك أن الفعل (جَاءَ) أكثرُ ثقلاً من (أَتَىَ) في اللفظ إذ لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جَاءَ) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي فقط.(51)

بخلاف الفعل (أَتَى) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخفة اللفظ وخفة الموقف في (أتى) والله أعلم.(52)

المبحث الثاني: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الثلاثي المجرد والمزيد:

أولاً: التناوب فيما جاء على (أفعَل و فَعَلَ).

حيث ورد التناوب بين فعلين معتلين أحدهما مثال مجرد وهو (وَجَدَ). والآخر منقوص ومزيد بهمزة قطع وهو (ألْفَى)، وذلك كما يلي:

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (ألْفَى و وَجَدَ).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.[البقرة: 170] وقال تعالى: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.[المائدة:104]، فجاء النظم القرآني في الآية الأولى من البقرة بالفعل (أَلْفَيْنَا). وفي الآية الثانية من المائدة بالفعل (وَجَدْنَا) وهما وجهما التناوب والاختلاف في الآيتين المتماثلتين، وبلا شك أن كل لفظ أبلغ وأدق في الموضع الذي ورد فيه، مع أن كثير من المفسرين ذهبوا إلى أن (أَلْفَيْنَا). بمعنى (وَجَدْنَا).(53)

يقول ابن فارس: "اللامُ والفاءُ والحرفُ المعتلُ أصلٌ صحيحٌ يدلُ على انكشافِ شيءٍ وكشفهِ ويكونُ مهموزًا وغيرِ مهموز".(54) وقال: "الواوُ والجيمُ والدالُ: يدلُ على أصلٍ واحدٍ وهو الشيء يلفيه، ووجدتُ الضالةَ وجدانا".(55) ويقول ابن سيده: "ألفى الشيء وجدَه وتلافاه افتقده".(56)

وذهب ابن عرفةَ إلى ثمة فرق دلالي بين اللفظين، مبيناً أن الوجدان يكون اتفاقاً على غفلةٍ من غيرِ قصدٍ ومنه وجدان الضالة. و(أَلْفَيْنَا) يقتضي وجدان ما كان ثابتًا دائمًا مستقرًا.(57) إلا أن اللغويين قد ذهبوا إلى ثمة فروق دلالية أخرى من حيث العمل فرأوا أن الفعل ألفَى يتعدى إلى مفعولين تقول: ألفيتُ زيدًا قائمًا، وألفيتُ عمرا على كذا. ووجدتُ يتعدى مرةً إلى مفعولٍ واحدٍ، تقول: وجدتُ الضالةَ. ومرة إلى مفعولين، تقول: وجدتُ زيدًا جالسًا فهو مشترك فكان الموضع الأول باللفظ الأخص أولى لأن غيره إذا وقع موقعه في الثاني والثالث علم أنه بمعناه.(58)

ويرى العكبري وغيره كذلك أن الفعل (أَلْفَيْنَا) متعدٍ إلى مفعول واحد وقد يكون متعدٍ إلى مفعولين، مثل: وجدتُ وهى ها هنا تحتمل الأمرين والمفعول الأول (آبَاءَنَا) و (عَلَيْهِ) إما حال أو مفعول ثان، ولام ألفينا واو لأن الأصل فيما جهل من اللامات أن يكون واوا. (59)

وذهب النيسابوري إلى أن الآية مستأنفة. وإنما خص هذا الموضع بقوله: (أَلْفَيْنَا) لأن (ألفيتُ) يتعدى إلى مفعولين البتة، فكان نصاً في ذلك. فورد في الموضع الأول على الأصل. واقتصر في المائدة ولقمان على لفظ (وَجَدْنَا) المشترك بين المتعدي إلى واحد والمتعدي إلى اثنين اكتفاء بما ورد في الأول مع تغيير العبارة عارضوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما أغفلهم وأنفسهم فلا جرم أجاب الله تعالى بقوله: "أَوَلَوْ كَانَ".(60)

فيما ذهب أحد المحدثين إلى أن المضي في الفعل (أَلْفَيْنَا) إشارة إلى ما استقروا عليه ووجدوه من دين آبائهم، والفعل فيه بمعنى وجد، ويتعدى إلى مفعول به واحد".(61)

وقد ورد الفعل (ألفى) في القرآن في ثلاثة مواضع تدل على المشاهدة أو المصادفة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ﴾.[الصافات: 69]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾.[يوسف: 25]، وكذلك ما جاء في [البقرة: 170].(62)

أما الفعل (وَجَدَ) فهو أشمل من الفعل (ألفى) حيث جاء في القرآن قلبي وغير قلبي، ومشاهد وغير مشاهد مثلاً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾.[آل عمران: 37] وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾. [الكهف: 86]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾.[النور: 39]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾. [الأعراف: 102]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.[النساء: 110]. والغالب في (وَجَدَ) استعملها للأمور القلبية في القرآن وغيره.(63)

ثانياً: التناوب فيما جاء على (فَعِلَ و افْتَعَل).

وقد ورد ذلك في مقام واحد بين فعلين صحيحين أحدهما مجرد. والآخر مزيد بحرفين، وذلك كما يلي:

- التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين (تَبِعَ و اتَّبَعَ).

جاء التناوب اللفظي في هذا المقام بين فعلين ماضيين صحيحين في مقامين متماثلين الأول ثلاثي مجرد (تَبِعَ)، والثاني ثلاثي مزيد بالألف والتضعيف (اتَّبَعَ). حيث قال تعالى في الأول: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[البقرة:38]، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.[طه:123]. قال الخليل: "التابعُ التالي، ومنه التتبع والمتابعة، والاتباع يتبعه يتلوه، تَبِعَه يَتْبَعه تبعاً، والتتبعُ فعلك شيئاً بعد شيء".(64)

فهما من أصل واحد كما يقول ابن فارس: "التاءُ والباءُ والعينُ أصلٌ واحدٌ لا يشذُّ عنه من البابِ شيءٌ وهو التلو والقفو، يقالُ: تَبعتُ فُلاناً إذا تَلوتُه واتبعتُه، وأتَّبعتُه إذا لحقته".(65) والاتباع في الآيتين الكريمتين: تقفي الأثر بالارتسام والائتمار.(66) ويذكر الكرمانيّ وغيره أن السياق اللُّغويّ؛ جاء للتأكيد فيرى أنَّ ما جِيءَ في طه بلفظ اتَّبع لموافقة قوله تعالى قبل ذلك: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾.[طه 108].(67)

والظاهر عند تتبع آيات الاتباع في القرآن الكريم أن كل كلمة تعطي معنىً دقيقاً، وترسم صورة لا ترسمها الكلمة الأخرى وإن كانتا من أصل واحد. فعند الزيادة في المبنى سيزيد في المعنى أيضا، وقد تنبه لذلك ابن الزُّبير الغرناطيّ بحديث مستفيض حول مفهوم اللفظين مؤكداً أنَّ لكلِ لفظٍ تمايزاً عن الآخر؛ لأنَّ لفظ (تَبِعَ) ثلاثي هو الأصل، ولفظ (اتَّبَعَ) مزيد هو الفرع، وما فيه من زيادة في المبنى يستلزم زيادة في المعنى كما سبق، فإذا اشترك اللفظان في دلالتهما على الاتباع، فإنَّ (تَبِعَ) تدلّ على الاتِّباع الَّذي لا تكلُّفَ فيه ولا مشقة.

وأمَّا (اتَّبَعَ) فإنَّ هذه البُنية (افتَعَل) تنبئ عن تكلُّفٍ ومشقةٍ، وتحميل للنَّفس طاقة أخرى. ويستدلُّ ابن الزُّبير على هذا الفرق بقوله: ألا ترى قول الخليل -عليه السلام- في إخبار الله تعالى عنه ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. [إبراهيم 36]، حيث أشار بقوله: فإنه مني إلى الخاصَّة من سالكي سبيله... فعبَّر بما يشير إلى غاية التَّمسك والقرب حين قال: مِنِّي فناسب ذلك قوله: تبعني، يريد: الجري على مقتضى الفطرة، وميَّز الحق بديهًا بسابقة التَّوفيق من غير إطالة نظر أو كبير علاج لِسَبَقِية الهدى ووضوح الشَّواهد. وفي طرف من حال هؤلاء مَنْ قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[القصص 50]، وهذه الآية وأمثالها مراد بها من تعامَى عن النظر في الدَّلالات، وترك واضح الاعتبار وحمَّل نفسه - بقدر الله - على ما لا يشهد له نظر ولا يقوم عليه البرهان، فكأنَّهم... عالجوا أنفسهم حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة.(68)

ويؤكد ابن الزُّبير على سياق الحال الوارد في سياق القصَّة؛ لأنَّ سورة البقرة لم يُذكر فيها من كيد إبليس كما ذكر في سورة طه فلم يرد في البقرة من كيد إبليس إلاَّ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾.[البقرة 36] من غير تفصيل وبيان لهذا الإضلال والإغواء، فكانت المناسبة الدَّلالية للفظ (تَبِعَ) التي تعني مجرد الاتباع من غير تعمل، ولا تكلُّف، ولا مشقَّة. وأمَّا في سورة طه فكان التَّفصيل، حيث ذكر كيفية الإغواء في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾.[طه 120]، وذكر فيها قوة كيد إبليس واستحكام قبضته وحيلته حتى احتنك كثيرًا من البشر بإغوائهم؛ ومن ثم أصبح تمييز الحق لا يكون إلاَّ بتعمُّل ومشقَّة؛ لذا ناسب (اتبع) فجاء كلٌّ على ما يناسب معناً ونظمًا وإيجازًا، وإطالة مراعاة لسياق الحال في الآيات محل القصَّة القرآنية.(69)

المبحث الثالث: التناوب اللفظي وأثره الدلالي في الفعل الثلاثي المزيد

أولاً: التناوب فيما جاء على (فُعِّلَ و أُفْعِل) ومنه: (نُزِّلَ وأُنزِل)

حيث ورد التناوب اللفظي بين فعلين ماضيين الأول مضعف مبني للمجهول (نُزِّلَ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.[الأنعام:37]، والثاني ماض مبني للمجهول مزيد بهمزة قطع (أُنْزِلَ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.[العنكبوت: 50] وهما من أصل لغوي واحد، يقول ابن فارس: "النونُ والزاءُ واللامُ: كلمةٌ صحيحةٌ تدلُ على هبوطِ شيءٍ ووقوعِه، ونَزَلَ عن دابتهِ نُزُولاً، ونَزَلَ المطرُ من السماءِ نُزُولاً، والنازلةُ الشديدةُ من شدائدِ الدهرِ".(70)

فجاء الفعل الأول (نُزِّلَ) على صيغة (فُعِّلَ). بينما جاء الفعل الثاني (أُنْزِلَ) بزيادة في المبنى على صيغة (أُفْعِلَ). وكما يُقال: الزيادة في المبنى زيادة في المعنى. وقد وردت آيات كثيرة باللفظين.(71)

وهذا الآياتُ دلَّتْ على مطلقِ النزولِ، إلا أن هناك فرقاً دلالياً بين اللفظين، وأن لكلِ لفظٍ معنى زائد يخالفُ معنى اللفظ الأخرى.

فما كان على وزن (أَفْعَلَ) يدل على النزول دفعة واحدة، وما كان على وزن (فَعَّلَ) يدل على تكرار النزول وتتابعه، لأن صيغة (أَفْعَل) من معانيها في العربية الدلالة على حدوث الفعل دفعة واحدة، وذلك كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ﴾.[البقرة: 185]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾. [الدخان: 3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[القدر:1]، فالظاهر أن النزولَ كانَ دفعةً واحدةً في شهر رمضان إلى السماء الدنيا ثم نَزَلَ على الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فترات متفرقة على ثلاثٍ وعشرين سنة.

ويتضح ذلك من صيغة (فَعَّلَ) التي تدل في الآيات على نزول القرآن مفرقاً منجماً على الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم﴾.[التوبة: 64] وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾.[الإسراء: 160] فاستِعمَالُ صيغة (نَزَّلَ) للدلالة على ذلك التفرق والتباعد في النزول واضحة في الآية.

وقد تطرق إلى ذلك الرازي بقوله: "فصيغةُ (نَزَّلَ) تدلُ عليه. والإنزالُ مطلقٌ لكنه إذا قامت القرينةُ يُرادُ بالتدريجِ التنجيم، وبالإنزالِ الذي قدْ قوبِلَ بهِ خلافه أو المطلق بحسب ما يقتضيه المقام".(72)

وقَالَ الرَّاغِب: "الْفرق بَيْن الْإِنزَال وَالتَّنْزِيل فِي وصف القرآن والْملائِكَة، أَنَّ التَّنْزِيل يَخْتَصّ بالمَوْضِعِ الَّذي يُشِير إلى إنْزَاله مُتَفَرِّقًا مَرَّة بَعْد أُخرى، وَالْإِنْزَال أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ".(73)

وقال القرطبي: "والقرآنُ نَزَلَ نُجومًا: شيئًا بعد شيءٍ، فلذلكَ قالَ: (نَزَّلَ)، والتنزيل مرة بعد مرةٍ. والتوراة والإنجيل نزلا دفعةً واحدةً فلذلك قال (أَنْزَلَ)".(74) و"(نَزَّلَ وأَنْزَلَ) كِلاهما متعدٍ. فقيل: نَزَّلَ للتعدي والمبالغة. وأَنْزَلَ للتعدي، وقيل: نَزَّلَ دفعةً مجموعاً. وأَنْزَلَ مُتفرقاً".(75)

ثانياً: التناوب فيما جاء على (فَعَّلَ و أَفْعَل) ومنه: نجَّى وأنجَى)

ورد التناوب اللفظي في الآيات المتماثلة بين الفعل الماضي (نَجَّى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:49] وبين الفعل (أَنْجَى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[الأعراف:141] وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. [إبراهيم:6]

وهذه الأفعال تعود إلى أصلٍ لُغوي واحدٍ، قال ابن فارس: "النونُ والجيمُ والحرفُ المعتلِ أصلانِ، يدلُ أحدُهما على كَشطٍ وكَشفٍ، والآخرُ على سِترٍ وإخفاءٍ".(76) ويُقال: نَجَا الإنسانُ يَنْجُو نَجاةً، نَجَا يَنْجُو نَجْواً.(77) ويقول ابن منظور: "النجاءُ: الخلاصُ من الشيءِ".(78)

والفعلان وإن كانا من أصلٍ واحدٍ؛ إلا أن لكلٍ منهما دلالة في الاستعمال القرآني، وقد بين ذلك الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني".(79) حيث قال: إنَّ من الملاحظِ استعمال (نجّى) و(أنجى) في القرآن

الكريم كثيرًا مما يستعمل فيه (نَجّى) فهو للتلبثِ والتمهلِ في التنجيةِ. وما يستعملُ فيه (أنْجَى) فهو للإسراع فيها. لأنَّ (أنْجَى) أسرعُ من (نَجّى) في التخليص من الشِدةِ والكَربِ. ثم ذكر الآيات ووجّهها بأنَّ الاستعمال يتغير ليتناسب مع السياق.

وقال: لما كانت النجاةُ من البحرِ تحتاجُ للسرعةِ ولم تستغرقْ وقتاً طويلاً استعمل (أنجى). بخلاف البقاء مع آل فرعون تحت العذاب فإنه استغرقَ وقتاً طويلاً ومكثاً، فاستعمل له (نجّى).(80)

وقد جاء اللفظان في سياقات عدة في القرآن الكريم ولعل الفرق بينهما لا يخرج عما ذكره السامرائي، فعند استعماله لفظ (نَجَّى) نجد أنها تنجية من عذاب واقع ودائم ومستمر من تذبيح وتجويع من فرعون وملائه. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.[البقرة:49]، وكذلك في هودٍ وقومه قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.[هود: 58]، أي أنهم كانوا في عذاب دائم من قومهم. وكذلك في صالح قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.[هود: 66]، وقال في شعيب: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.[هود: 94]. وغيرها من الآيات التي تدل على طول العذاب واستمراره في الناس فنجد أنه استخدم الفعل (نَجَّى) والله أعلم.

أما استعمال لفظ (أنْجَى) فأنه إنجاءٌ قبلَ وقوعِ أي مكروه أو عذاب سابق فاستعمل الله سبحانه أنجينا في الحديث عن إنجائه لموسى وبني إسرائيل قبل أن يدركهم فرعون في البحر، فقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.[سُورَةُ البَقَرَة: 50] أما قوله تعالى في [يونس: 73] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾. فإنه نجيٌ قبل أن يظفر بهم فرعون وقومه إلى أن وصلوا البحر فكان السرعة في الإنجاء مطلوب فاستخدم (أنجى).

وأنجى نوحاً من الطوفان بوسيلة الفُلك، فقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.[الأَعْرَافِ: 64]، ولوطاً قبل أن يحل العذاب، فقال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾. [الأَعْرَافِ: 83]، فالإنجاء في الآيات السابقة كان قبل وقوع العذاب، وغيرها من الآيات.

ويبدو من سياق الآيات أن اللفظ (نجّينا) يعني التدخل الإلهي دون طلب من العبد فيكشف الله به كرباً كثيرة، وأما اللفظ (أنّجينا) فقد جاء في سياق طلبٍ ودعاء من العبد والله أعلم.

ثالثاً: التناوب اللفظي وأثره الدلالي فيما جاء على بناءٍ واحد:

1- التناوب فيما جاء على (أفْعَلَ)، مثل: (أغْرَينا وألقينا).

جاء التناوب اللفظي بين فعلين ثلاثيين ماضيين مزيدين بألف القطع في آيتين متماثلتين في سورة واحدة، فجاء في الأولى بالفعل: (أَغْرَيْنَا) حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[المائدة: 14]، وجاء في الآية الثانية بالفعل: (أَلْقَيْنَا) حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[المائدة: 64].

قال ابن منظور: "الغِراء: الذي يُلصقُ بهِ الشيءِ يَكونُ من السمكِ، إذا فتحت الغين قصرت، وإن كسرت مددت، تقول منه: غَروتُ الجلدَ، أي ألصقته بالغراءِ".(81)

وفي الآيتين نجد أن الفعل (أَغْرَيْنَا) قد استعمل مع النصارى كما سبق في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾. بينما استعمل الفعل الثاني (أَلْقَيْنَا) مع اليهود في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

وعند تتبع كتب التفسير عن الإغراء لم نقف سوى على قولين عند أبي بكر السجستاني: الأول: (أَغْرَيْنَا): أي هيجناها. والثاني: (أَغْرَيْنَا): أي ألصقنا بهم وذلك مأخوذ من الغراء ولم تخرج دلالته عن ذلك، ولم يعرجوا حسب اطلاعنا على تناوبه بلفظ الإلقاء.(82)

والظاهر من خلال الآيتين أن الإغراء الذي لازم النصارى قد ناسب الحالة التي هم عليها دائمًا من اختلاف فيما بينهم من العداوة والبغضاء، فهم أعداء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة، بما يقولون من الجحود والتكذيب، وعداوتهم ظاهرة، فاختلفوا وقُسموا إلى طوائف متعددة، وذلك أن النسطورية، قالوا: إن عيسى ابن الله، وقالت المار يعقوبية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت عبادة الملك: إن الله عز وجل ثالث ثلاثة، فقالوا: هو إله، وعيسى إله، ومريم إله، افتراء على الله تبارك وتعالى، وإنما الله إله واحد، وعيسى عبد الله ونبيه صلى الله عليه وسلم. فجعل الله الإلصاق لخلافهم ملازم لهم إلى يوم القيامة.(83)

وأضاف الطبري في تفسيره عن الربيع قال: إنَّ الله عز ذكره تقدم إلى بني إسرائيل: أن لا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وعلموا الحكمة، ولا تأخذوا عليها أجرا، فلم يفعل ذلك إلا قليل منهم، فأخذوا الرشوة في الحكم، وجاوزوا الحدود، فقال في اليهود حيث حكموا بغير ما أمر الله: (أَلْقَيْنَا)، وقال في النصارى: (أَغْرَيْنَا). وأولى التأويلين بالآية عندي أن المعني بالإغراء بينهم النصارى، في هذه الآية خاصة، لأن ذكر "الإغراء" في خبر الله عن النصارى، بعد تقضي خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبره عن النصارى، فلأن يكون ذلك معنياً به النصارى، خاصة أولى من أن يكون معنياً به الحزبان جميعاً، لما ذكرنا.

ثم ذكر العداوة التي بين النصارى، النسطورية، واليعقوبية، والملكية، مشيراً إلى أن هذا أقرب عنده إلى الصواب، وأشبه بتأويل الآية.(84)

كذلك هو حال اليهود في العداوة فيما بينهم، إلا أنهم يحرصون على إخفائها، والتظاهر بوحدة صفهم، وقد قال الله عنهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.[الحشر: 14]، فناسبهم الإلقاء الذي جاء في سياق خلافهم على المال، فهم أهل مادة ولذا نجدهم قد اتهموا الله سبحانه بالغل والبخل، وهذا يعكس حبهم الجمّ للمال.

وقيل: أن عداوة اليهود بسبب تحريفهم للتوراة، فهي عداوة محددة بتحريف التوراة. وقد ثبت تحريفهم وثلاث آيات من القرآن الكريم، منها آيتان في المائدة نفسها، حيث قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾.[المائدة: 13]، وقال أيضاً: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ

مَوَاضِعِهِ﴾.[المائدة: 41]، كما قال في النساء: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.[النساء: 46]

والظاهر من الآية أن عداوة المسيحيين بسبب إيمانهم بتحريفات اليهود فصاروا مثلهم في استحقاقهم العقوبة، إضافة إلى تحريفهم الإنجيل فزادوا على اليهود في نزول العقوبة عليهم لأنهم أخذوا بالمحرّف من اليهود إضافة إلى تحريف ما عندهم فاستحقوا الإغراء في العقوبة والله أعلم.

كما أن الإغراء لم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين الأول في المائدة كما سبق، وقد جاء بصيغة الماضي (أَغْرَيْنَا). والثاني بصيغة المضارع (لَنُغْرِيَنَّكَ) في قوله تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾.[الأحزاب: 60] فلم يرد من مشتقاته إلا ما جاء من المضارع بعكس الإلقاء الذي ورد في مواضع كثيرة ومختلفة.

2- التناوب فيما جاء على (انْفَعَل)، مثل: (انفَجَرَ وانبَجَسا)

جاء التناوب اللفظي بين الفعلين الثلاثيين الماضيين في آيتين متماثلتين، الأول: (انْفَجَرَتْ) حيث قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.[البقرة: 60]، والثاني: (انْبَجَسَتْ) في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.[الأعراف: 160]

قال ابن فارس في الانفجار: "الفاءُ والجيمُ والراءُ: أصلٌ واحدٌ، وهو التفتح في الشَّيء. من ذلك الفَجْرُ: انفِجار الظُّلمة عن الصُّبح، ومنه: انفَجَرَ الماءُ انفجارًا: تفتَّحَ، والفُجْرَة: موضع تفتُّح الماء".(85)

وقال الخليل في البجس: "هو انشقاقٌ في قِربةٍ، أو حجرٍ، أو أرضٍ ينبُعُ منهُ الماءُ، فإن لم ينبع فليس بانجباسٍ".(86) وقال ابن فارس فيه: "الباءُ والجيمُ والسينُ: تَفَتُّح الشيء بالماءِ خاصّة".(87)

وأما التناوب بين اللفظين في آيتي البقرة والأعراف فقد جاء لمناسبة السياق القرآني، حيث خلص أهل التفسير إلى معنيين لم يبتعدا عن أهل اللغة، فقيل: (انْفَجَرَتْ) لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة. وقيل: (انْبَجَسَتْ) لأن الانبجاس ظهور الماء ببطء.(88) فناوب بين اللفظين مع أن القصة واحدة، والموضوع واحد.

إلا أنهم اختلفوا في مسالة التقديم والتأخير، فقال بعضهم: أن الانفجارَ جاءَ درجةً ثانيةً بعد أن بدأ بالانبجاس تدريجياً إلى أن حصل الانفجار.(89) وذهب آخرون إلى أن الانفجار حصل أولاً لشدة حاجتهم إلى الماء فناسب التعبير به، ثم تلاشى الماء تدريجياً وقلّ فناسب ذلك الانبجاس.(90)

وخلص السامرائي إلى أن كِلا الأمرين قد حصل، حيث انفجرت أولاً بالماء الكثير، ثم قلّ الماء بمعاصيهم، فأخذت تنبجس، فذكر حالة الانفجار في موطن، وحالة الانبجاس في موطن آخر، فالأمران واقعان؛ وكلاهما حقيقة غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق وسرد بعض الفروق بين الفعلين، منها: أن موسى هو الذي استسقى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى

لِقَوْمِهِ﴾، فناسب إجابته بانفجار الماء. في حين ذكر في سورة الأعراف أن قومه هم الذين طلبوا منه الاستسقاء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾، والحالة الأولى أكمل، فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، أي أن الله قال ذلك لموسى قولاً، في حين ذكر في الأعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحياً: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، والحالة الأولى أكمل وأتم، فإن القول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي، فناسب ذلك ذكر الانفجار في البقرة، والانبجاس في الأعراف.(91)

المبحث الرابع: التناوب اللفظي وأثره الدلالي بين الفعل الثلاثي المزيد، والرباعي المضعف

- وقد ورد ذلك في موضع واحد فيما جاء على (أفْعَل و فَعْلَلَ)، ومنه: (أزَلَّ ووَسْوَسَ).

حيث ورد التناوب اللفظي بين الفعل الثلاثي المزيد (أَزَلَّهُمَا) في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.[البقرة:36]، وبين الفعل الرباعي المضعف (وَسْوَسَ) في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾.[الأعراف: 20]

قال الخليل: "زلَّ السهمُ عن الدرعِ زَليلاً، والإنسانُ عن الصخرة يزِلُ زَليلاً، فإذا زلَّتْ قدمُه قيل: زَلَّ زَلاً وزَلولاً، وإذا زَلَّ في مَقالٍ أو نحوه قيل: زَلَّ زَلَّةً وزللاً".(92) والزَلَلُ غالباً ما يكون في أمرٍ غير مرغوب، يقول ابن دريد: "زَلَّ الشيءُ عن الشيءِ إذا دحضَ عنه، يزِلُ زَلاً وزَليلاً. وزَلَّ الرجلُ زَلَّةً قبيحةً إذا وقعَ في أمرٍ مكروه أو أخطَأ خَطَأً فاحِشًا".(93) وقال ابن فارس: "الزاءُ واللامُ: أصلٌ مطردٌ منقاسٌ في المضاعَف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي، وهذا من عجيب هذا الأصل تقول: زلَّ عن مكانه زَليلاً وزَلاً".(94) وذكر المناوي في تعريفه: أن "الزَلَّةُ في الأصلِ استرسالُ الرجل من غير قصد".(95)

وأما الوَسْوَسَةُ: فهي حَدِيثُ النَّفْسِ، والوَسْواسُ الصوتُ الخفي".(96) و"الوِسْواسُ بالكسر المَصدَر. والوَسْواس: الشيطانُ".(97)

وذهب بعض المفسرين إلى أن الزللَ في الآيةِ يعني الإخراج من حالٍ إلى حال.(98) فقال بعضهم في تفسيرهم: "(فأَزَلَّهُمَا) يعني (استمالَ) آدمَ وحواءَ فأخرجهما ونحاهما".(99) وقال أبو حيان: "أزَلَّ: من الزلَلِ، وهو عُثورُ القدمِ. يقال: زَلَّتْ قدمه، وزَلَّتْ به النعلُ. والزَلَلُ في الرأي والنظر مجاز، وأزَالَ: من الزوالِ، وأصلُه التنحية. والهمزةُ في كِلا الفعلين للتعدية".(100)

أما الوَسْوَسَة: "فهي إخفاء الصوت بالدعاء، يقال وَسْوَسَ له إذا أوهمه النصيحةَ، ووَسوَسَ إليه إذا ألقى إليه".(101) و(وَسْوَسَ) عُدي بإلى لأنه بمعنى أسرَّ، وعداه في موضع آخر باللام لأنه بمعنى ذكر له أو يكون بمعنى لأجله".(102)

وللقراءات أثر كبير في تفسير الآيات القرآنية وتوجيه الدلالة اللغوية ومنها قرأة (أَزَلَّهُمَا) فهذا ابن عرفة يقول: إن المفسرين ذهبوا في تفسيرهم إلى أمرين حيث قال: (أَزَلَّهُمَا) فسرُوه بأمرين إما (أوقعها) في الزلة والإثمِ، فالضميرُ في (عنها) للجنةِ، أو للشجرة فهو معنوي، وإما حسي من الزوال فالضمير في (عنها) للجنة. وقرأ حمزة، (فَأَزَلَّهُمَا) .(103) وهو نص في الزوال الحسي فتكون (مرجحة) (لإرادته) في القراءة الأولى. قال ابن عطية: لما دخل إبليس لآدم سأله عن حاله فقال (له): ما أحسن هذا لو

أن خلدا (كان) فوجد به السبيل إلى إغوائه. وقال: هذا إلهام (للنطق) بما وقع في الوجود حيث قال ابليس: هل أدلك على شجرة الخلد.(104) وللقراء آراء أخرى لا يتسع المقام لذكرها الآن إلا أننا اقتصرنا في المقام الأول على الجانب الدلالي في تفسير ابن عرفة.(105) والفعل: متعدٍ من أزَلَّ القدمُ وأزالها بالألفِ من الزوال.(106)

وأضاف أبو حيان: "أن الهمزة: كما تقدم في أزَلَّ للتعديةِ، والمعنى: جعلهما زَلا بإغوائه وحملهما على أن زَلا وحَصَلا في الزَلّةِ، هذا أصل همزة التعدية. وقد تأتي بمعنى جعل أسبابَ الفعل، فلا يقع إذ ذاك الفعل".(107)

والخلاصة تبدو أن الأمرَ مَرّ بعدةِ مراحلَ حتى تم الإغواء، فبدأ إبليس بالوسواسِ وهو الصوتُ الخفي كما سبقَ، ثم جاءتْ المرحلة الثانية بعد تصديق آدم له حينها حصلَ الزلل وهو زَلّ قدمه إلى المعصية.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

استثارة العقل للتفكير والتدبر في آيات الله عامة، وعلى وجه الخصوص المتماثلة منها لما لها من بعد دلالي يستوجب الوقوف عنده، والبحث فيه.

أن التناوب اللفظي في الأفعال الماضية الواردة في الآيات المتماثلة لم تأت من باب الترادف، وإنما لكل لفظ في الاستعمال القرآني دلالته الخاصة به، التي تميزه في الاستعمال عن غيره، فلا يتم المعنى إلا به.

أن التناوب اللفظي في القرآن الكريم مرتبط بالإعجاز اللغوي، لما فيه من أسرار لا تتجلى إلا للمتأمل والمتعمق فيه، لذا لا يمكن لأحد أن يدعي الفصل في توجيه الآيات المتماثلة، فالقرآن جديد متجدد لكل زمان، فلا يسع أحد أن يحيط به مهما بلغ علمه.

أن السياق اللغوي من أهم الأسس التي يقوم عليها توجيه الآيات المتماثلة في القرآن الكريم، وتتبع أثرها الدلالي، فالألفاظ المتناوبة في الآيات المتماثلة وضعت وضعاً فنياً مقصوداً، يحمل معنى خفياً لمناسبة معينة يحددها المقام، أو السياق الذي وردت فيه، فلا تتوقف عند حدود المعنى المعجمي، بل لا بد من النظر في السياق العام للتوصل إلى المناسبة وبعدها الدلالي.

اتضح أن تعليقات المفسرين استحضرت الجانب اللغوي، وأولته عناية كبيرة في تفسير الألفاظ المتناوبة في القرآن الكريم، لما يحمله من إعجاز وأسرار دلالية.

لم تكن القواعد النحوية فاصلة في إيجاد البعد الدلالي بين الألفاظ المدروسة، خاصة في باب التعدي، كما هو الحال في (سلك وألفينا).

أن التناوب اللفظي الوارد في الآيات المتماثلة، جاء من محض كلام العرب، فلم يأت نتيجة لتعدد اللغات أو اللهجات.

التسليم بأن القرآن الكريم كل لا يتجزأ، يفسر بعضه بعضا، ويشرح بعضه بعضا.

أن أغلب الألفاظ المتناوبة جاءت من الثلاثي المجرد، ثم الثلاثي المزيد، واقتصر الرباعي على لفظ واحد مضعف هو الفعل (وسوس).

يتسم الأسلوب القرآني بتناوب الألفاظ، واتساقها مع المشاهد المتعلقة بحياة الموقف، حيث نجد الكلمة بذاتها من جذر لغوي واحد، تأتي في عدة سياقات ولها دلالة مختلفة في كل سياق، بحسب ما يقتضيه المعني ويتطلبه المقام، كالتناوب بين (نحَّى وأنحَّى، ونزل وأنزل) وغيرها من الألفاظ.

الهوامش:

(1) كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه المتوفى سنة 180 هـ ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت- ط/1 : 1 / 12.

(2) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت- 1/ 3. وينظر: الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/3، 1988م: 1/ 36 .

(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، سوريا، 1985م: 1/ 13.

(4) همع الهوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدا لحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، - مصر- 1/ 25.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة المغرب –الرباط- 1994م: 90.

(6) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الآفاق الجديدة –بيروت- ط/ 3، 1979م: 179.

(7) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية –بيروت- ط/ 1، 1986م: 164.

(8) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي –بيروت- د ت 86/1.

(9) مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل –بيروت- ط/ 2، 1999م: 511/4 (فعل).

(10) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى 458هـ، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت- ط/ 1، 2000م: 2/ 163 (فعل).

(11) الكتاب 1 / 12.

(12) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان، ط/ 1، 2001م: 4/ 205.

(13) شرح الكافية لرضي الدين الاسترأباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قان يونس –بن غازي ليبيا- 1996م: 4/ 5.

(14) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى 538 هـ، تحقيق: د.علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال –بيروت- ط/ 1، 1993م: 1/ 319.

(15) المحكم والمحيط الأعظم 10/ 520 (نوب) وينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت – ط/1، 1415 – 1995م: 285 (نوب) وكتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م: 1 / 914.

(16) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث –القاهرة- ط/ 2001م: 659 – 661 (مثل).

(17) مقاييس اللغة 145/4 (عمل).

(18) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر –بيروت- ط/1 ، د. ت: 11 / 475 (عمل).

(19) الفرق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية –بيروت- د. ت: 110.

(20) ينظر: دراسات مصطلحية، مجلة حولية محكمة، مفهوما "العمل" و"الفعل" والعلاقة بينهما في ضوء الاستعمال القرآني، د. عبدالكريم مصلح البحلة، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ومعهد الدراسات المصطلحية، العدد الثالث عشر والرابع عشر 1435 – 1436هـ الموافق 2013 – 2014م: 167.

(21) المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي –بيروت- ط/1، 1981م: 1/ 235.

(22) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية –بيروت- ط/ 1، 1996م: 1/ 235.

(23) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية –بيروت- ط/ 1، 1995م: 2 / 315.

(24) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت- ط/ 1، 1998م: 8 / 26.

(25) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام – القاهرة- ط/2، 1396م: 1/ 123 و 193. وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6 / 103.

(26) أسرار التكرار في القرآن 1/ 185. وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6 / 103.

(27) ينظر: تهذيب اللغه 10/ 38 (سلك).

(28) مقاييس اللغه 3/ 97 (سلك).

(29) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال –بيروت- ط/ 1، د. ت: 1/ 229 (جعل).

(30) مقاييس اللغه 1/ 460 (جعل).

(31) إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب -بيروت- ط/3، 1988م: 3/ 41.

(32) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية - دمشق، بيروت – ط/ 1، 1415: 2/ 697.

(33) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض- ط/1، 1418هـ- 1997م: 3/ 335.

(34) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان- د. ت: 239.

(35) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/ 139.

(36) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس – 1997م: 16/ 139.

(37) ينظر: نفسه 16/ 236 ,23/ 139.

(38) ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية -بيروت- ط/1، 2000م: 27/ 169.

(39) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 28/ 208 (جعل).

(40) ينظر: العين 4/ 241 (ختم).

(41) مقاييس اللغه 2 / 245 (ختم). وينظر: غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة – ط/ 1، 1405: 2 / 557 والنكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت- د.ت: 1/ 150.

(42) مقاييس اللغه 3 /438 (طبع).

(43) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت- ط /1، 2001م: 1/ 178.

(44) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، د.ت: 73.

(45) ينظر: اللباب في علوم الكتاب 7 / 109 وتفسير التحرير والتنوير 6 / 17.

(46) ينظر: العين 5/ 82 (فسق) ومقاييس اللغة 4/ 502 (فسق) ولسان العرب 10/ 308 (فسق).

(47) العين 5/ 356 (كفر) ومقاييس اللغه 5/ 191 (كفر) ولسان العرب 5/ 144 (كفر).

(48) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 497. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- د.ت: 4/ 142 وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- د.ت: 11/ 112.

(49) ينظر: لسان العرب 14/ 14 (أتى) و 1 ص51 (جيأ) و مختار الصحاح 50 (جيأ)

(50) ينظر: المفردات في غريب القرآن 1/ 103 والإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر -لبنان – طأ 1، 1416هـ- 1996م: 2 / 570 و التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر -بيروت ، دمشق – ط/1، 1410: 1/ 32 روح المعاني 19 / 16.

(51) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 229 – 234 (جاء).

(52) ينظر: نفسه 5 – 14 (أتى).

(53) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - بيروت – ط/ 1، 2003م: 2 / 145. كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - 1416هـ- 1995م: 1/ 50. وتفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة -القاهرة – ط/ 1، 2002م: 1/ 194 . والتبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر – ط/ 1، 1992م: 1/ 117. وغيرهم.

(54) مقاييس اللغه 5 / 258 (لفا).

(55) نفسه 6 / 86 (وجد).

(56) المحكم والمحيط الأعظم 10/ 418 (لفي).

(57) ينظر: تفسير الإمام ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس – ط/ 1، 1986م: 2 / 117.

(58) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/37.

(59) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت 616 هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه للطباعة والنشر، 1 / 139. وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت 616 هـ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية –لاهور- باكستان، 1 / 75. اللباب في علوم الكتاب 3 / 157.

(60) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 1/ 75.

(61) ينظر:الفعل في سورة البقرة دراسة لغوية، د. فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب –القاهرة- ط/ 1، 1997م: 148.

(62) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة- د.ت: 15/ 88 وتفسير البغوي، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت- د.ت: 2 / 421 والكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- د.ت: 2/ 432.

(63) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب 1/ 345.

(64) العين 2 / 78 (تبع).

(65) مقاييس اللغه1/ 362 (تبع).

(66) ينظر: المفردات في غريب القرآن 72.

(67) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1 / 26 وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 1/ 265.

(68) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، أبو جعفر بن الزبير، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط/ 1، 1983م: 1/ 190 – 191 و466.

(69) ينظر: ملاك التأويل 2/ 721.

(70) مقاييس اللغة 5 / 417 (نزل).

(71) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 788 – 792 (نزل).

(72) الكشاف 1 / 127. وينظر: التفسير الكبير 2 / 107.

(73) المفردات في غريب القرآن 489.

(74) الجامع لأحكام القرآن 4/ 5. وينظر: تفسير البحر المحيط 3/ 387.

(75) أسرار التكرار في القرآن 1/ 194.

(76) مقاييس اللغة 5/ 397 (نجا).

(77) ينظر: المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين عالم الكتب - بيروت- ط/1، 1414هـ-1994م: 7/ 188 (نجو).

(78) لسان العرب 15/ 304 (نجا).

(79) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار النهضة –القاهرة- ط/ 2، 2006م: 66-71.

(80) ينظر: نفسه 66.

(81) لسان العرب 15/ 121 (غرا).

(82) ينظر: كتاب غريب القرآن 1/ 56 ومعاني القرآن للنحاس، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المرمة – ط/ 1، 1409: 2/ 283 وتفسير ابن زمنين 2/ 17.

(83) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 288 و2/ 313 ومعاني القرآن 2/ 283.

(84) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر –بيروت– ط/ 1، 1405هـ: 6/ 160.

(85) مقاييس اللغه 4/ 475 (فجر).

(86) العين 6/ 58 (بجس).

(87) مقاييس اللغه1/ 199 (بجس).

(88) ينظر: أسرار التكرار في القرآن 1/ 30. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/ 466 وملاك التأويل 1/ 311.

(89) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي -لبنان- ط/4، 1983م: 2/ 52 وتفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر - بيروت – 1401هـ: 1/ 102 واللباب في علوم الكتاب 2/ 107 الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط/ 1، 2002م: 1/ 204.

(90) ينظر: التفسير الكبير 3/ 466 والإتقان في علوم القرآن 3/ 307.

(91) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 112- 114 والتعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار –عمان- ط/ 3، 2004م: 312 - 313.

(92) العين 7/ 348 (زلّ).

(93) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد، تحقيق: الدكتور/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين –بيروت- ط/1، 1987: 1/ 130 (زلل).

(94) مقاييس اللغه 3/ 4 (زل).

(95) التعاريف 388.

(96) ينظر: العين 7 / 335 (وسوس).

(97) تهذيب اللغة 13 / 92 (وسوس).

(98) ينظر: تفسير الطبري 1/ 234. وتفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر –بيروت- د. ت: 1 / 71.

(99) تفسير الثعلبي 1 / 94.

(100) تفسير البحر المحيط، 1/ 311. وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن 1/ 77 وغيرهم.

(101) النكت والعيون (تفسير الماوردي). 2/ 209.

(102) ينظر: التبيان في إعراب القرآن 2/ 906. تفسير البحر المحيط 6/ 128.

(103) التيسير في القراءات السبع، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني تـ 444هـ، قراءة وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا –مصر- ط/ 2002م: 55.

(104) ينظر: تفسير ابن عرفة 2 / 77.

(105) ينظر: السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف -مصر- ط/2، 1400هـ: 1/ 154. والحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت – ط/ 4، 1401: 1 / 74.

(106) ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل 1/ 44.

(107) تفسير البحر المحيط 1 / 311.